

اهتم الباحثون منذ أقدم العصور بموضوع نشأة اللغة ، وربما كان موضوع نشأة اللغة من أقدم المشاكل التي جابهت عقل الإنسان ؛ فكثرت الآراء في ذلك :

١ - نظرية التوقيف : وتذهب إلى أن اللغة وحي من عند الله ، وقد قال بهذه النظرية ابن فارس في الصحابي وغيره ، ودليل هؤلاء دليل نقلي لا عقلي ، وهو قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها " . وعلم اللغة اليوم يرفض هذه النظرية ويمكن أن تخرج الآية على أن الله أقدر الإنسان على وضع الألفاظ .

٢ - نظرية الاصطلاح : وتذهب إلى أن اللغة ابتدعت بالتواضع والاتفاق ، ومن أنصار هذه النظرية ابن جني وغيره ، وليس لهذه النظرية دليل ، غير أنهم يشيرون إلى أن كل شيء لا يرتجل ارتجالاً بل يتكون بالتدرج والاتفاق .

٣ - نظرية محاكاة أصوات الطبيعة أو نظرية البو - وو bow-wow : وتهب إلى أن أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة ، كأصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة ، والتي تحدثها الأفعال عند وقوعها ، وقد عرض ابن جني لرأي أصحاب هذه النظرية فقال : " وزهد بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة ، كدوي البحر ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الطي ، ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبل " والواقع أن لهذه النظرية ما يؤيدها ، فالطائر المسمى في الإنكليزية cockoo إنما سمّي بالصوت الذي يحدثه ، والهرة سميت " مو " في المصرية القديمة وفي اللغة الصينية نسبة إلى الصوت الذي تحدثه .

ويذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن هذه النظرية أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول . وقد وجّه إلى هذه النظرية انتقاد أساسي من جهة أنها تعجز عن أن تفسر لنا كيف استغل مبدأ " حكاية الصوت " في آلاف الكلمات التي لا نرى الآن أية علاقة بين معناها وصوتها ! فما العلاقة بين لفظة " إبريق " ومعناها ؟ وما العلاقة بين لفظة " المنضدة " ومعناها ؟ وما العلاقة بين لفظ " الكتاب " ومعناه ؟ ليس هناك من علاقة ظاهرة !